سلسة

من مسالك التدبر

للشيخ:

أبي قتادة عمر بن محمود

سلسلة مقالات

(من مسالك التدبر)

للشيخ:

أبي قتادة الفلسطيني

عمر بن محمود أبو عمر

حفظه الله

(٧ مقالات)

من مسالك التدبر (١)

[٢٢ فبراير ٢٠١٨ – ٦ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد سألني أخ حبيب وابن بار أن أكتب ولو قليلاً في مسالك تدبر القرآن، وكيفية معرفة مقاصده الكلية، ومقاصد السور العامة، وهو أمر قد أكثر أهل العلم الكلام في طرقه؛ أعني معرفة مقاصد القرآن عامة والسور خاصة، ولكن يحب المرء أن يقوم هو بهذا الأمر، رغبة منه في الدخول في سلك هؤلاء القوم العابدين، ولعلمه أن كنوز القرآن لا تنتهي، ومن الخير العظيم، ومن إدراك الدرجات أن يغنم المرء بمعنى نفيس يتقرب به إلى الله، وذلك في دخوله في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ﴾، ولعلم كل عابد وعالم أن هذه الكنوز مبذولة لكل أحد، منها ما هو علمي ومنها ما هو معنوي قلبي، فالناظر والقارئ لكتاب ربنا لا يخلو من هذين الحالين: خشوع القلب وتأثره، وهذا معنى غالب على كل قارئ، وإما ظهور العلم والفهم بدرر يجنيها ويتزين بها عبودية لله تعالى، فالأولى مرتبة غالبة على العباد، والثانية مرتبة غالبة على العلماء، مع جني كل واحد لبعض ثمار الآخر.

والناس دوماً من أهل القرآن يشكون حال قراءتهم عدم التدبر، وقلة المعاني الواردة على أذهانهم، وهم في شوق لالتقاطها والتنعم بها، ولهذا فإن وضع كلمات كاشفة لطرق التدبر قد تعين هؤلاء في بلوغ مرادهم العظيم، وهذا الباب لا ينتهي إلى حد، ولا يمكن لأحد أن يقول فيه القول الفصل، بل الكل يحوم حوله، وتبدأ المسألة عند الجميع بمعاني خاصة تطرأ على قلوبهم، ثم يحاولون التقاطها عبر كلمات، فيبدأ الضياع، وتنتهي كل الكلمات إلى حروف باهتة، لا يسعد بها صاحبها، لأنه يراها أضعف بكثير مما يحسه ويعانيه، وهذا أمر جامع لكل من كتب حول هذا الباب، وهو سر قرآني غريب، يكشف للمرء منه قبساً، يحسه أكثر من كلماته، ويبقى هذا المعنى كامناً في النفس، سراً يطوي عليه حناياه، متنعماً به لحلاوته، شقياً أن لا يستطيع كشفه، وتبقى كلمة علي رضي الله عنه هي معيار هذا الباب: "**لا يخلق**

من كثرة الرد"، "**ولا تنقضي عجائبه**"، ليعود المرء إليه مرة بعد مرة، يحس بنور الكلمات على نفسه، وبانثيال المعاني على عقله، مجلياً لإرادة الفعل التي تقيم على الطاعة، ناهياً النفس عن غيها، وهو سر قرآني ليس لغيره أبداً في قوته وسطوته.

صلاح الوعاء وقوة الآلة

والنفوس أوعية، وآلات، فمع النفس التي لا تصلح وعاءً لا تكون المعاني ولا الهبات، ومع ضعف الآلة يضعف النبط والاستخراج، فلا بد من صلاح النفس وقوة الآلة، ليتهيأ لصاحبهما أخذ الكنوز واجتناء المعاني، وكل سوء في النفس يسيئ للمعنى، وكل ضعف في الآلة يمنع الذهاب للباطن الخفي من الدرر والجواهر، ولذلك لا بد من صلاح النفس، وهذا بين في قوله تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**﴾ ﴿**وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**﴾ وهذا المعنى كثير في القرآن فيه الدلالة أن صلاح الوعاء شرط للتدبر والعظة والتأثير، وأما قوة الآلة فالله يقول: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ وقوله: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ وقوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾.

وقد جمع الله سبب ضلال الناس عن القرآن بضد هذين الشرطين فقال سبحانه: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ**﴾ فالظن ضد حكم الآلة وقوة ادراكها، والهوى ضد صلاح الوعاء، ولذلك لا يفتح الله معاني الإيمان التي يهتدي بها البشر على فاسد الوعاء عي العقل ، فمن ضرورات هذا الطريق أن يقوم المرء على صلاح قلبه من أمراضه، وأعظم الأمراض هو الكبر، والكذب، وأنت تعلم أن أصدق الناس رؤيا هو أصدقهم حديثاً، وذلك أن الرؤيا من الغيب ، وعطاياه، وتنزل المعاني كذلك، فمن فسد وعاء قلبه لم يصلح لهذه التنزلات الإيمانية، وأما الكبر فهو رفعة النفس بالباطل، وهذا الغيث من معاني القرآن لا يتعايش مع مثل هذه النفوس، ولذلك قال سبحانه: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾.

ولذلك كلما ازداد المرء قرباً من الله ازداد معرفته لنفسه ومعرفته لربه، وهذان يعنيان تواضع النفس وتعظيم الرب، فبهذا يحصل صلاح الوعاء لتنزلات هذا القرآن الإيمانية.

وأما الكذب فهو فساد النفس في رؤيتها للمعاني، لأنها لا تخبر بالحقائق إن حصل لها تنزلات القرآن بل تخبر بضدها أو بخيالاتها، فإن صلحت بالصدق كان فيها بعض فيض النبوة ومعانيها، وشرط هذا شرط النبوة؛ وهو الصدق الذي لا يشوبه الكذب، والتنزلات بمعانيها أصلاً وفرعاً.

والقرآن وإن انتهى تنزله، لكن لم تنته تنزلاته ، ولا تنقضي معانيه أبداً، بل هي تتجدد وتكثر ما بقي ناظر لكتاب ربنا بشرط النظر من الصدق والتواضع، مع قوة الآلة اللازمة للنظر.

وقوة الآلة فيها بعض فضل إلهي فطري، لكن يمكن تجاوز هذا بالتمرين والمراس، وذلك بكثرة إعمال آلة العقل، فتحصل فيه الحكمة الناشئة عن المراقبة، وعلوم الشرع من أعظم ما تقوي هذه الآلة، وخاصة أصول الفقه وعلم الحديث، وتتويج هذين العلمين بالنظر في طرائق العلماء في استنباط الفقه ومعرفة طرق الترجيح بين الأقوال، والتبصر الطويل في الجدل العلمي المهتدي بنور الكتاب والسنة.

فمن استوى لديه صلاح الوعاء بالتقوى وحب الله ورسوله، وكثرة الاستغفار، ونظر لنفسه في مقام العبودية التي تنظر لحقيقة النفس من كهل وضعف وذنب، وعلمت من هو الله بعظمتها وقدوسيتها وعزتها وحكمتها، ثم قويت لديه آلة النظر والاستنباط، وذلك بالتمرن والمراس، والبحث في الدقائق وعلل الحياة والنفوس كان هو المستعد لتلقي تنزلات القرآن ومعانيه التي ترقيه في مقامي العلم والإيمان ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ...﴾.

أدوية التدبر والتفكر: يتبع إن شاء الله

من مسالك التدبر (٢)

[٢٣ فبراير ٢٠١٨ – ٧ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

أدوية التدبر والتفكر

- **حب الحكمة المعنوية، ورقي النفس في معرفة قدرها.**

قال صلى الله عليه وسلم: (**لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**).

قال عقبة بن عامر: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة، فقال : (**أيكم يحب أن يغدو إلى بطحان أو البقيع، فيأتي كل يوم بناقتين كوماوين زهراويين يأخذهما من غير إثم ولا قطيعة رحم؟**) قالوا: كلنا يا رسول الله يحب ذلك، فقال: (**فلأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، وأربع خير من عدادهن من الإبل**).

للنفوس تشوفاتها، وقيمة المرء في رغباته، وكلما غاب المرء عن واقعه باذلاً إياه لتحصيل ما غاب وما علمت قيمته من المعاني كلما كان قريباً من الله، فالأشياء حجاب، يبذلها المرء لما هو أعظم منها، لعلمه أن المعاني أفضل من هذه الأشياء، وقيمة المعاني هذه أنها تتحول يوم القيامة من عالمها (عالم المعاني) إلى عالم التكوين، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ**﴾ وكذلك الحسنات، وهي قيمة معنوية تحول يوم القيامة إلى حقيقة تكوينية، توزن وترى، وتصرف هذه المعاني يوم القيامة حقائق من التكوين كذلك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الجنة فيما أخبره إبراهيم عليه السلام: (**وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**).

فكلما ارتقت نفس المرء في هذه الدنيا في معرفة قيمة العلم والمعاني كلما شاقت نفسه لتعلم أعظم العلم، وهو علم المرء بربه (**إن لله مائة اسم إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة**)، ومن غير هذا التشوف لا يكون التدبر أبداً، لأنه مشغول عن معاني القرآن بما هو أدنى من الأشياء والدني.

فأول درجات الانشغال بالتدبر هو تحصيل قيمة الحكمة في النفس، لا ينشغل بسواها، أو بما يعينه على تحصيلها، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾.

يبدأ الإنسان طفولته ناظراً للأشياء، باحثاً عن أسمائها، وكنهها وما هي عليه، وصلتها ببعضها، وكلما ترقى خرج من هذه الأشياء لعلم المعاني، حتى إذا اكتملت لديه أدوات النظر في المعاني سمي حكيماً، وهذا لا يكون إلا إذا قُهرت نفسه بحب المعاني والحكم، وغلبت عليه شهوة النظر إليها، بل هو يبذل النفس والمال والوقت في سبيلها، لجنيها واغتنامها.

والحكم درجات، منها ما يسهل أمور الدنيا والقيام بشأنها، من معرفة الحياة والناس، ومنها –وهو أعظم منها– طرق تحصيل رضى الله تعالى، وتحقيق العبودية، فهذا القرآن هو سبيل هذا العلم، فالمرء يذهب إليه لتحقيق سبل إرضاء الله وتجنب سخطه، فإن لم يكن لديه التشوف القوي لتحقيق هذا فإن سعيه لتدبر القرآن لا يكون على المعنى الصحيح، ولا بالطريقة اللازمة له.

حكمة القرآن حكمة علمية عملية، لا تصنع المتعة الذهنية فقط كما تصنع صور الشعر الضاربة في الخيال، بل متعة حكم القرآن في أنها تصنع الشغف الذي يدفع الإرادة المنشئة للعمل والسلوك، حتى تلك المعاني القلبية، وهي أجل المعاني تصنع حباً لله وخوفاً منه، واندفاعاً لتحقيق العبودية له.

– كرر لتفهم، وعلل لتحفظ

هذه كلمة حكيمة، لم أجدها إلا من نقل أنور الكشميري في "فيض الباري".

يبدو لك هذا القول مقلوباً، وليس كذلك، فالناس يظنون أن كثرة الذكر تؤدي للحفظ، وهو صحيح، ولكن كثرة الذكر تؤدي للفهم كذلك، وأما التعليل والفهم فهو طريق الحفظ كذلك، وهذا المعنى يعرفه الناس من أنفسهم، إذ تكرار الكلام والتأمل فيه نظراً من أفضل طرق الفهم عليه وإدراك أسراره، وكم سمعنا من قال: ما زلت أردده حتى فهمته، وكذلك التعليل وهو التفسير ومعرفة المعنى تؤدي بك إلى حفظ الكلام واستقراره في النفس.

مع أن القرآن لا تأتيك فيوضاته جملة واحدة، وكما نزل القرآن مفرقاً فهو يكشف لك معانيه على وفق تنزله، ليكون كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، ولذلك واجب على من أراد معاني القرآن والتدبر فيه، واستخراج كنوزه أن يحبس نفسه عليه تالياً قارئاً، وأن يعرف أوقات التنزلات العظمى، وذلك في الصلاة، وفي السحر، فهذا وقت يبسط ربنا يده ليعطي ويمن، واعلم أن التدبر عبادة، وقراءة القرآن عبادة، فأنت مع هذا الحال لا ينفع تحصيل الجواهر دون الرقي في هذا المقام من عبودية رب العالمين.

ويحدثنا أحدهم بأن كل ما كتبه عن القرآن ومعانيه، وكل ما استخرجه من درر إنما جاءه وقت القيام في السحر، بسر لا يفهمه، إلا أن المعاني تنثال عليه على هذا الحال وفي هذا الوقت، وهذا سر من أسرار التعبد لتحصيل العلم، وهي حال الصالحين، باستغفارهم وسؤالهم لربهم ليحصل لهم فك المشكلات من مسائل العلم.

وكشف هذا المعنى كالتالي: أنك حين تقوم باحثاً عن نفس إنسان ما، فلا بد من النظر لفعله، والتبصر بكلامه، تلتقط كل ما قال وعمل، حتى تعرفه تمام المعرفة، وتدرك ما انطوت عليه نفسه من خلق وفضائل، وتبصر ملكاته، وهذا لا يكون إلا بطول المكث معه ومع كلامه وأحواله، وهذا حال العبد مع ربه، فإنه إن أقام قارئاً مردداً كلام الله حصل له المعرفة بربه، فهو يتلو ما وقع من أقدار، وما تكلم به من إخبار عن نفسه وكلماته وشرعه، فبهذا يحصل أعظم العلم والفهم.

وأنا أحدثك عن رجل يحس بمعنى في رمضان لا يجده في غيره، إذ هو في رمضان يحبس نفسه مع القرآن، فيفتح له من المعاني العجيبة كما يقول، وذلك أنه تغيب لديه كل أفعال البشر، فلا يرى إلا يد الله القادرة الحكيمة، ولا يعيش مع الدنيا في شيء ، إنما هي الآخرة، وتنجلي أقدار الوجود على إرادة الله فيه دون رؤية أفعال البشر إلا وفق حكم الشرع، وما يحصل له هذا المعنى كما يقول إلا في رمضان حيث يحبس نفسه مع كتاب الله.

وشيء آخر يحسه هاهنا، وهو أنه يحس لَنَفسه شيء آخر، من بركة القول، وأثره على مستمعيه.

وهذا ذو النورين يقول: "**لو صفت قلوبنا ما مللنا كتاب الله**"، وهو كاشف لهذا المعنى من التقاء القرآن مع صفاء النفس.

وبهذا تعلم قيمة ما كان يفعله السلف من ترديد الآيات في الليلة الواحدة، فلربما ردد أحدهم آية واحدة طيلة الليل، وربما اقتصر بعضهم على بعض آيات، يعمل بها، ويؤولها قارئاً، كما كان من شأن الشافعي، لا يزيد في الليلة عن خمسين آية، فإن زاد فمائة، يقف عند كل آية، يسبح ويحمد ويكبر ويهلل، ويتفكر وينظر، ويدعو، فهذا التكرار الذي يأتي بالمعاني، وبهذا تعلم كيف حصلت علوم السلف، وكيف جاءت منهم الدرر.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾

قال بعض العابدين: إني لأفتتحُ السورةَ، فَيُوقِفُنِي بعضُ ما أشْهَدُ فيها عَنِ الفراغِ منها، حتى يطلعَ الفجرُ .

وهذا معنى آخر من القراءة، غير ما تقدم من كثرة تلاوته والانشغال به.

- **وكثير من السؤال اشتياق...** يتبع إن شاء الله

من مسالك التدبر (٣)

[٢٤ فبراير ٢٠١٨ – ٨ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

وكثير من السؤال اشتياق

العبد في طريقه في مقامات التعبد بين حالين: خير لنفسه غير متعدي، يخلو فيه مع ربه، يسبحه ويذكره ويدعوه، ويستغفره، وخير يتعدى للناس من أعمال البر والعلم والجهاد، وخلال رحلته مع هذين الحالين تنشأ أسئلة القلب، ففي خلوته تقوم أسئلة كبيرة، تحتاج لجواب، وكذلك خلال حضوره مع الخلق براً وعلماً وجهاداً تنشأ الأسئلة العظيمة لديه، من شرع وأحكام، ومن فهم لتصورات وأحداث، وهذه الأسئلة يعلم العبد أن جوابها في الكتاب الهادي، والذي أنزله الله تعالى لهذا الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ والأمر كما قال الشافعي رحمه الله تعالى: "**فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها**" قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

وهذا يدل أن العابد العامل هو الذي يعاني أسئلة القلب والحياة والنوازل، فهو الذي يشد كذلك من أجل جوابها، ولذلك تفتح له من المعارف والمعاني ما لا يفتح على غيره.

من عاش ساكناً بلا ابتلاء الأسئلة لن يضطر باحثاً على جوابها، ومن اشتغل بتحصيل الدنيا ففهمه وذهنه مشغول بغير التقاط الدرر العلمية.

ومن صور حدوث الأسئلة القراءة، فإن المرء حين يسير في عقول البشر، فتقوم في ذهنه وهو العابد الأسئلة حول ما تقول هذه العقول: أهو حق أم باطل؟ وما وجه الصحة فيه؟ وبهذا يذهب إلى نبع القرآن وهجه ليعلم الجواب، فتنشأ لديه علوم القرآن.

من غير معاناة لا تكون الفوائد ولا الاستنباطات العظيمة، فمن شغله قلبه بالأسئلة فهو في مقام يمدح فيه، ولا يخاف ولا يذم، وحال هذا المرء كحال المجاهد الذي تأتيه جنود الكفر فيدافعها بالحق والجهاد، وكذلك أسئلة الغير تقيم في نفسه من الجهاد في النظر والعلم ما الله به عليم.

وهذا كذلك مع الواردات، فهي تغزو القلب، لا يدري أحق هي أم باطل، أمن فتح الله عليه أم من وسوسة الشيطان، فلا بد لها حينئذ من الأدلة على قبولها أو ردها، والأدلة هي الكتاب.

هذا الحال باب واسع عند السلف في سبب تدبر القرآن واستخراج كنوزه ومعانيه، فقصة الشافعي رحمه الله في حجة الإجماع مشهورة، حيث سئل عن دليله فأقام مع القرآن تالياً باحثاً متدبراً، حتى فتح الله عليه الدليل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

وهذا حال الكثيرين من أهل العلم والجهاد في طريقة أجوبتهم على أسئلة النفس والعالم.

ومن جهالات الخلق في هذا الباب ما انتشر بينهم أن القرآن كتاب عمومات لا يجيب على دقائق المسائل، ولا يعطي إلا الكليات في المسائل والمواضيع، وهذه كلمة مجرمة صرفت الناس عن تدبر كلام الله تعالى وبحثهم فيه عن أجوبة مسائل الحياة دقيقها وعظيمها، ظانين خلو القرآن عن هذه الأجوبة، ومن رأى استنباط السلف للمعاني القرآنية رأى ما يذهل في هذا الباب، والقرآن كله حكم، وكله أحكام، حتى القصص فيها الحكم والأحكام، وجهل الناس بالقرآن هو الذي صرف بعض من انتسب للفكر الإسلامي عنه، لا يفزعون إليه في الملمات ولا مضايق الفكر والخلاف.

وهذا من ميزات علوم السلف رحمهم الله تعالى، تجد فيها عجائب الاستدلال من كتاب الله على قضايا الوجود، وأحوال القلوب، ورحم الله ابن تيمية وهو الوارث لمثل هذا العلم من السلف الكبار، إذ لا تجد بحثاً عقلياً خطيراً إلا يجد له من كتاب الله تعالى الدليل على قضاء الوطر منه.

ما يحتاجه المرء في حياته معرفة سنن الله بالعطاء والمنع، وسنن الله بالعذاب والرحمة، وكيفية سريان هذه الأقدار على وفق حكمة الله تعالى وتدبيره، وهذا لا يدركه ولا يمكن للمرء أن يقول فيه قولاً صحيحاً صائباً إلا إذا عكف على كتاب الله تعالى متعلماً متدبراً عن سر حكمة الله هذه.

الأسئلة تصنع البحث، واليقين أن كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور تقيم الوجهة الصحيحة لضبط الاتجاه.

ومن صور تدبر القرآن في هذا الباب تدبر العبد حول أصول السنة من الكتاب، وهو الباب الذي يرقي المرء في عبوديته لرب العالمين.

- **(إني أحب أن أسمعه من غيري)**... يتبع

من مسالك التدبر (٤)

[٢٥ فبراير ٢٠١٨ – ٩ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

(إني أحب أن أسمعه من غيري)

هذا حديث شريف، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ القرآن عليه، فقال ابن مسعود: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! فقال له صلى الله عليه وسلم: (إني أحب أن أسمعه من غيري).

وهذا الحديث تطبيق عملي لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، والنبي صلى الله عليه وسلم يحب الدخول في كل مقامات التعبد الواردة في القرآن مما حض الله عليه ورغب فيه، وهذا المقام المذكور في الآية هو مقام استماع القرآن والإنصات له.

والناس لهم طرق في الفهم لما يقال، فبعضهم تقوم نفسه لما يقرأ، ويفهم أكثر في هذا الحال من الاستماع، وبعضهم تصلح نفسه وعقله للفهم إذا تلي وقرئ عليه، ولا شك أن الأغلب يفهون لما يستمعون، لعدم الانشغال إلا لعمل الأذن الموصلة للعقل وفعل التدبر، بخلاف القراءة فالنفس تنشغل بكثير من الأمور قبل نفاذ المراد للعقل والفهم، ولذلك فإن الإنسان يبدأ فهمه أولاً لما يقال ويسمع، وهذا أليق بفطرة الإنسان، ثم يكون الفهم لما يقرأ بعد رحلة تعلم وتدريب.

وفي هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل ابن أم عبد رضي الله عنه إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، ومما لا شك فيه أن هذه الآية فيها من فضل المقام الذي جعله لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يجعل القلب يتأثر به، ويكون البكاء بكاء الحب لربه، والشكر والحمد له، ومقامات أخرى هي خاصة لنفس أعظم العابدين محمد صلى الله عليه وسلم مما لا يحيط به الكلام، ومنها ما يقف المرء على بابها خجلاً أن يتكلمها أحد عنه.

ولو سأل سائل: ما هو باعث الحب لسماع القرآن من قبل الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؟؟

فالجواب:

- لذة السماع لما يحب المرء من الكلام، وهذا بين في النفس، فإنّ النفس إذا أحبت أمراً تاقت لسماعه أو السماع عنه، تهيج بهذا السماع شوقاً له، وتقرباً منه، وتزداد حباً له، والله عز وجل وصف إحدى لذائذ الجنة بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ فسرها بعض أهل العلم بالتفسير: أي يستلذون بالسماع، والسماع إحدى طرق اللذة، ولكن اللذة لأمر يحبه، والنبي صلى الله عليه وسلم يحب ربه، ويحب كلامه، فهو يحب أن يسمع عنه، فكيف إذا كان المخبر عن المحبوب هو المحبوب نفسه وبكلامه!

- ومقام آخر في بيان سبب حب النبي في سماعه القرآن من غيره، وهو رؤية الفضل الإلهي على النفس، فهذا كتاب ربنا الذي أمر الله نبيه ببلاغه، وشوق النبي صلى الله عليه وسلم لهداية الخلق معلوم، فقد قام ابتداءً مقام التذكير والإبلاغ له، وهاهنا قد حصل الفضل باستجابة الخلق له، فهو يسمع سماع الأستاذ العظيم للتلميذ النجيب، يفرح أن يرى في الخلق من يقوم مقامه في التبليغ والأداء، ويفرح أن استجاب له الخلق، فهذا كتاب لن يذهب بذهاب مبلغه الأول، بل يبقى لحمل أعظم الخلق بعد الأنبياء له، وهذا هو ابن مسعود، رجل القرآن، وصاحب الأخذ الشديد له، وقد أخذه غضاً طرياً، وهو مبلغ له على غضاً طرياً كما ورد هذا في الحديث عند أحمد والحاكم، وهذا المعنى لا يعادل المعنى الأول من نظره لنفسه مستمعاً للقرآن الذي أنزل إليه قبل أن يسمعه بقية الخلق ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾.

- ومعنى آخر لا يتحدث المرء به إلا تعظيماً للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو أحق وأعظم أحواله، وهو مقام العبودية، والذي يلزم منه أن يسمعه على أي وجه فيطيع، فهو آخذ له من جبريل، ثم هو آخذ له من بعض تلاميذه وصحبه، وهذا الصاحب تابع لهديه، مسترشد لمقاله، ومع ذلك يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ هذا الكلام الرباني على أي وجه، فيسمع له ويطيع، وقد حصل القدر بأن يقرأ ابن أم عبد آيات فيها ما ختم من ذكر مقامه عند الله تعالى، وأنا والله أعجب بأي قلب عظيم يسمع الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم آيات ذكر مقامه وعظمته عند الله تعالى.

يقول الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

ويقول الله له: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

وآيات كثيرة فيها ذكر التعظيم له، فيعجب المرء من هذا القلب العظيم كيف يحصل له من معاني التعبد والقرب حين سماعها.

ومقام العبودية يوجب أن يسمع المرء كلام الله على أي جهة جاءته، ومن أي جهة بلغته، ولذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم تمثل هذه العبودية بسماعه القرآن من ابن أم عبد رضي الله عنه.

ومن الأمور المعينة لهذا المسلك من التدبر أن يسمعه المرء من أقوام تخشع قلوبهم عند قراءته، يقرؤونه على وجه الحزن والتدبر والخوف والعظة، فمع الكلام يكون الحال الذي يعرفه المرء بقلبه كما يشارك فيه سمعه، وهذا المعنى يعرفه الناس بقلوبهم، كما يميزون حسن الصوت بآذانهم.

وكذلك سماعه من حسن الصوت، وهذا النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي موسى الأشعري: (لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة)، فقال أبو موسى: "**أما لو علمت لحبرته لك تحبيراً**".

والنبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى: (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود).

- (إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) ... يتبع.

من مسالك التدبر (٥)

[٢٨ فبراير ٢٠١٨ – ١٢ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

(إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب)

هذا حديث رواه الإمامان الترمذي والدارمي وغيرهما، كأحمد، والطبراني، والبيهقي في "شعب الإيمان"، وصححه الترمذي، وهو في "شرح السنة" للبغوي، وفي إسناده قابوس بن أبي ظبيان، وهو ضعيف.

قال ابن حبان: رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما ليس له أصل، فربما رفع المرسل، وأسند الموقوف.

وهنا رواه قابوس عن أبيه.

ورواه الحاكم وصححه، فرد عليه الذهبي بقوله: قابوس لين.

والحديث وإن لم يصح مرفوعاً، لكنه حكمة صحيحة، يمكن قد قاله صحابي أو تابعي، فيه معنى دال على ما نحن فيه، وهو أن أعظم طرق تدبر القرآن حفظه، فالحفظ يبدأ بالتكرار، وقد تقدم أنه مسلك للفهم والتدبر، والحافظ لا يمكّن حفظه إلا بالقيام، فقلما يمكّن المرء حفظه دون أن يقوم به في الليل، بل لا يكاد المرء يحكمه إلا بالقيام، وهذا وقت التنزل العظيم.

واختلف أهل العلم في شرط الحفظ للمجتهد، والمشهور عن الشافعي أنه شرط، وهذا نقله ابن اللحام في المختصر في أصول الفقه، وقال أن أبا العباس بن سريج مال إليه، والأغلب أنه ليس شرطاً كما في المستصفى، مع نقله أن بعضهم أوجب هذا الشرط، وروضة الناظر وغيرهما، وإن كان الأوائل يستغربون من المحدث والفقيه عدم الحفظ، كما ذكر هذا ابن حجر في "التقريب" عن أبي الحسن بن أبي شيبة قوله: كان ثقة حافظاً شهير وله أوهام، **ولم يكن يحفظ القرآن**.

فانظر كيف نبه إلى غرابة هذا الوصف في المذكور.

وأما زعمهم أن الإمام أحمد لم يحفظ القرآن إلا في القيد. فهو خطأ منهم، لما ذكروه نقلاً عن ابن الجوزي في مناقبه أنه قال: دعوت الله أن أحفظ القرآن -أو قال: أتم حفظه- فلم أحفظه إلا في الحديد.

فهذا تصرف من ابن الجوزي باللفظ، وإلا فقد حفظ الإمام أحمد القرآن في صغره كما ذكر كثيرون في سيرته، وأما الذي قاله فهو معاودته للحفظ في الحديد والقيد، فقد نقل الخلال عنه هذا، وقال فيه: كنت أحفظ القرآن، فلما طلبت الحديث اشتغلت.

وأغرب ما روي أن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لم يحفظ أحد منهم القرآن إلا عثمان، وهذا غلط مردود، فقد نص أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب "القراءات" -نقلاً عن الإمام السخاوي في "جمال القراء" وابن كثير في "البداية والنهاية" والسيوطي في "الإتقان"- على جمع الخلفاء الراشدين للقرآن الكريم، ولذلك لا يلتفت لقول ابن قتيبة في "مشكل القرآن" في هذا الأمر ولا ما قاله ابن حزم في "الفصل".

وأما الحفاظ من الصحابة فكثير جداً، وارجع في هذا إلى "جمال القراء" للسخاوي، ويكفي أن تعلم أن سبب جمع القرآن في زمن الصديق هو مقتل عدد من القراء في اليمامة، مما يدل على كثرة الحفاظ في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

وأما أثر الحفظ على التدبر، فيعلمه كل من عاش مع هذه القضية بين فترتين؛ عدم الحفظ والحفظ، فإن المعاني الكلية للسور لا تدرك إلا لحافظ، وكذلك اشتراك المعاني بين السور، وتوزع القصة والأمر الواحد بين السور وافتراق المعنى العلمي والبلاغي بينهما لا يكاد يدرك إلا لحافظ، وهذا أعظم من قضية الاجتهاد الفقهي، فإنهم مع اختلافهم في شرط الحفظ للمجتهد إنما بحثوا فيها لما يلزمه من معرفة آيات الأحكام وموطنها، وأمر التدبر أوسع من ذلك بكثير، حتى هذا الذي قالوه فيه نظر، فالصواب أن القرآن كله آيات أحكام، حتى الأخبار القرآنية هي أحكام شرعية كما هو مبسوط في مكانه.

والعابد يحتاج إلى ترنم وقت خلوته، ووقت اشتغاله، ليستريح، وليس هناك أعظم من الحفظ لحصول هذا الترنم والاسترواح.

ففي "صفة الصفوة"، أن شيخاً سأل عابداً: أتحفظ القرآن؟ قال: لا، فقال: فوا غوثاه بالله، مريد لا يحفظ القرآن!! فبم يتنعم!! وبم يترنم!! وبم يناجي ربه عز وجل!!.

فالحفظ ومعاناته تكشف لك درره، إذ يبدأ السؤال: لمَ اختلف اللفظ هنا عن هناك؟ ولمَ جاءت هذه الكلمة هنا دون سواها؟ والمرء لا يرضى الحفظ بلا فهم، وهذا تراه في العامي الحافظ، يسأل ليعلم ما غاب من المعاني عنه.

وقد وصف الله تعالى مكان القرآن فقال سبحانه: ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**﴾ فمكان القرآن هو صدور العلماء، فهذا شرطان، شرط المكان وشرط الفهم، فلا يحصل الفضل التام إلا باجتماعهما: أن يضعه المرء في صدره حافظاً له، وأن يفقهه علماً.

ثم أنت تعلم مقام أبي عبد الرحمن السلمي من القرآن، فهذا التابعي الجليل الذي أخذ القرآن عن عثمان وعلي رضي الله عنهما، جلس في المسجد يعلم القرآن من زمن عثمان رضي الله عنه حتى زمن الحجاج، ما أجلسه إلا حديث عثمان المرفوع: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**). كما ذكر هذا البخاري في صحيحه.

فجعل تعليم القرآن هو حفظه وتحفيظه، فدل على أنهما شيء واحد، لا يعلم المرء القرآن وأسراره إلا بحفظه.

- **تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيج الحديث**... يتبع.

من مسالك التدبر (٦)

[٣ مارس ٢٠١٨ – ١٥ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

"تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيج الحديث"

قد يكون هذا العنوان هو الأصلح لهذا المسلك، وقد يكون قول ابن مسعود رضي الله عنه هو الأصلح، وهو قوله: "**من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين**".

وهذا القول رواه عدة عنه موقوفاً، منهم الطبراني، وعبد الله بن المبارك في "الزهد"، وعبد الله بن أحمد، وغيرهم. وألفاظهم مقاربة.

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره: وتثوير القرآن مناقشته ومدارسته والبحث فيه.

والتثوير هو التقليب من خلال النظر والبحث والسؤال، فيجتمع المرء مع أهل القرآن الذين يحبونه ويتلونه، ويقومون به، فيسألهم عن وجوه العلم فيه، وعن أسراره، وهذه الأسئلة لا تنشأ إلا بما تقدم تحت مسلك السؤال، ولا تنشأ إلا من التلاوة، وقد ينشأ السؤال عن علم كما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما سأل عمر رضي الله عنه أشياخ بدر وفيهم حبر القرآن وترجمانه ابن عباس رضي الله عنهما عن سورة النصر، فأجابوه بأجوبتهم المعلومة، ثم سأل ابن عباس: "**أكذلك تقول يا ابن عباس؟**" فقلت : "**لا، بل هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه له**". فقال الفاروق: "**ما أعلم منها إلا كما تقول**".

فهذا الفاروق يعلم سرها الخفي، ويمتحن العلماء بمعرفة هذا التأويل العظيم، وذلك لتعلم بما كان الناس يتميزون، وبما يقدم الناس في المجالس وفي الشورى وفي الصحبة.

ومراجعة أهل العلم في معاني القرآن وفي أسراره هو سيرة العباد والعلماء معه، ففي تفسير الطبري عند قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ خبر عن رجل سأل ابن عباس عنها فقال له: "**الخيل حين تغير في**

سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم". ثم ذهب لعلي رضي الله عنه، فسأله، فقال له: "**إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى**".

وفي الخبر هناك فوائد أخرى، منها مراتب الناس في هذا العلم، وتواضع ابن عباس في ترك قوله لقول علي الرضا، فهذا علم لا ينتهي، ومراتب يتنافس عليها، وكما قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: القرآن مورد يرده الخلق كلهم، وكل ينال منه على مقدار ما قسم الله له.

والجلوس إلى العلماء وسؤالهم يسبقه التفكر في النفس، لمعرفة الأمر، ثم يسأل العلماء فيرى: أأصاب أم أخطأ؟ أقارب المعنى والفهم أم لا؟ وربما عرضه عليهم ليرى قولهم فيه.

ومع هذا المران من السؤال والتفكر يحصل للمرء خير عظيم وزاد يسعد به مع نفسه ومع عبادته.

ومن تثوير القرآن ومذاكرته السؤال عن المهمات، والعلوم: أين هي في القرآن الكريم؟ ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي من سؤال أحدهم له: أين في كتاب الله تعالى: الجار قبل الدار، فأجاب: في قوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾، فسألت الجوار، بقولها ﴿**عِندَكَ**﴾ قبل أن تقول: ﴿**بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ**﴾.

وقد ذكر السيوطي رحمه الله طرفاً من هذا في "الإتقان"، وذلك في (النوع السادس والستون في أمثال القرآن، فصل أمثال القرآن) طرفاً من السؤالات التي تنشئ العلوم الخاصة من الفهم القرآني.

والجلوس لتدارس القرآن وتثويره مكان لتنزل الرحمة، ومنها العلم، ففي الحديث: (**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**).

وهذا باب عظيم، والأخبار فيه كثيرة، وطالب العلم لا يخطئها، والله الموفق.

يتبع...

من مسالك التدبر (٧)

[٤ مارس ٢٠١٨ – ١٦ جمادى الأخرى ١٤٣٩]

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروج حرير –قباء قد من الخلف– فلبسه ثم صلى فيه، ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، ثم قال: (**لا ينبغي هذا للمتقين**) متفق عليه.

فالعبد يجتنب ما يمنع تنزلات الرحمة، ويسير بعيداً عما يعوق الوصول، فالمعاني غالية، لا تصيب القاذورات مهما صغرت، ومن استصغر القاذورات تجمعت عليه، وصارت قرينة به، لا يحس بسبب نتن رائحتها رائحة الطيب، فتهجره الطيبات من المعاني، ويصبح مأوى للسوء من الحسد والحقد وبغض العلم والصالحين ومجالسهم، فيستمرئ الغيبة والنميمة، والشر والسب واللعن، والقرآن عزيز كما سماه الله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ وعزته تمنع تنزل كنوزه على الأوساخ التي في القلوب، فالطيب لا يقبل إلا مجاورة الطيب، والخبيث يميل إلى ما يشاكله.

وهذا المعنى من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في تركه لباساً لا يليق بالمتقين، لأنه مانع له من الخير، وهو مشروح في أحاديث أخرى على هذا المعنى منها:

ما ورد عن قرام عائشة رضي الله عنها، عندما قال لها عنه: (**أميطي عنّا قرامك فإنه لا يزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**) رواه البخاري.

ومثله لما لبس خميصة عليها أعلام، فتركها وقال: (**إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي**).

فتأمل كيف يتجنب النبي صلى الله عليه وسلم ألبسة أو أقمشة لأنها تمنعه وتلهيه، فكيف لو كان الحديث عن موانع القلوب من الكبر، والغرور والعجب!

وأعظم الأبواب دخولاً على الله باب الفقر والتواضع وغمط النفس، فالعبد يدرك بهذه المكارم أعظم درجات القرب من الله تعالى، وأقذر الأبواب المانعة من حصول العلم والفقه خصلة الكبر والغرور والعجب، ولذلك يجب على المرء ترك أسباب هذه الخصال الفاجرة، ومن ذلك حب التميز في اللباس والمسكن، والرفعة على الناس بهذه الأمور الدنيوية، ولذلك نهي عن الأثرة، وهي باب الأنانية، ثم باب الغرور والكبر.

وتأمل ما قاله تعالى في سورة غافر "المؤمن" في العلاقة بين الكبر والمجادلة بالباطل، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

فهاهنا أمرنا الله تعالى بالاستعاذة عند حضور هؤلاء المجرمين من المجادلين بالباطل، وجعل سبب قولهم الباطل وعدم هدايتهم إنما هو الكبر الذي في قلوبهم، فحضورهم حضور القذارة والشر، فيستعيذ العبد بربه منهم، حتى لا يصيبه شرهم، أو يقع عليه فسادهم، فحضور المتكبرين يقتضي الاستغفار، فكيف بالكبر نفسه!

وقوله: ﴿**مَّا هُم بِبَالِغِيهِ**﴾ دال كذلك على المراد، فهذا الذي يعتقدونه في أنفسهم من العلم لن يصيبوه، لأن الله سيذلهم، ولذلك من عجائب المتكبرين أن يوقعهم الله في شر ما يفتخرون به، إن كان في العلم جاء منهم جهالات يأباها الصغار، وينكرها من له مسكة عقل .

وهؤلاء من قذارة الشيطان، فحضورهم يمنع الخير، فيستعيذ العبد بربه لئلا يصيبه شرهم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ ذلك لأن حضوره يمنع الخير، ويحضر الوسوسة الإبليسية معه.

والله يأمر عباده إن حصل نزغ شيطاني أن يستعيذوا بالله منه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾.

فتأمل كيف يحصل إزالة موانع الفهم عن الله تعالى، سواء كانت من ظاهر الأمر كما تقدم من الألبسة وغيرها، أو من الأمور الباطنة كالشياطين، أو من شرار الخلق.

وهذا كله لإصلاح الوعاء الذي ينزل به الفهم، وهو القلب.

فائدة من ابن القيم رحمه الله تعالى:

تأمل حكمة القرآن كيف جاء بالاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه، بلفظ ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. في الأعراف وحم السجدة (فصلت) وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون ويرون بالأبصار بلفظ ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. في سورة حم المؤمن... لأن أفعال هؤلاء معاينة بالبصر، وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات، يلقيها في القلب يتعلق بها العلم. باختصار.

فهرس المحتويات

من مسالك التدبر (١) ١
من مسالك التدبر (٢) ٤
من مسالك التدبر (٣) ٨
من مسالك التدبر (٤) ١١
من مسالك التدبر (٥) ١٤
من مسالك التدبر (٦) ١٧
من مسالك التدبر (٧) ١٩